تأثير محتوى الانترنت في تشكيل الرأي العام

يؤدي الفضاء الإلكتروني دور في صناعة وتشكيل الرأي العام ليس فقط على المستوى المحلي بل العالمي، وساعد على ذلك زيادة الإرتباط العالمي بتكنولوجيا الاتصال والمعلومات، وأصبح هناك ما يزيد على مليار مُستخدم للإنترنت وما يزيد على 4 مليار مستخدم للهاتف المحمول عالمياً وخاصة بين فئة الشباب الأكثر نشاطاً ودراية بها، وبما انعكس في ظهور فاعلين كثيرين في تشكيل الرأي العام وذلك بعد تفكُك سيطرة الدولة لوسائل الإعلام والحد من قدرتها على التعبئة وحشد الجماهير، وساهم الإعلام الجديد في بروز دور الأفراد والجماعات الذين يُمكنهم استخدام الفضاء الإلكتروني لنقل وتبادل وانتاج المعلومات ونشرها بين قطاع عريض من الجمهور، وبما يفتح ذلك المجال للتأثير على أولويات القضايا لدى الرأي العام، وذلك مع بروز الإعلام الإلكتروني بطابعه الفردي أمام الإعلام الحكومي الذي كان يُسيطر ويؤثر في تشكيل الرأي العام ومن ثم حدوث التعبئة والتجنيد والتأييد لسياسات الحكومة المحلية، ومكن الإعلام البديل الأفراد من صنع وسيلة إعلام خاصة بهم سهلة الانتشار ورخيصة التكلفة وتتميز بالتنوع الإعلامي على شكل نص أو صوت أو صورة أو فيديو، ودفعت تلك الأدوات الجديدة إلى استخدامها بشكل إيجابي في تحقيق نوع من التواصل الإنساني بين العديد من التجمعات البشرية والأفراد من كافة أنحاء العالم وأصبحوا يجتمعوا حول قضايا مُشتركة تؤثر فيهم ويؤثرون في انتشارها ودعمها، وذلك في ظل حوار بين الأفراد حول العديد من القضايا المحلية والعالمية، ومن جانب آخر كان لاستخدام تلك الأدوات جانباً سيئاً في استغلال طابع الإعلام الإلكتروني الفردي في تغذية العنف والكراهية وبث الشائعات والحرب النفسية وتضليل الرأي العام فضلاً عن المُساهمة في إظهار نمط جديد من الجرائم، وجاء هذا مع المساعدة في توفير أدوات للرأي والتعبير أمام الجمهور تتميز جميعها بالسهولة والإنتشار وقلة التكلفة سواء أكانت في شكل انشاء مواقع على الإنترنت أو الرسائل النصية القصيرة أو المدونات أو غرف الدردشة أو المجموعات البريدية، أو استخدام الهاتف المحمول أو استطلاعات الرأي الإلكترونية أو التعليقات الإلكترونية على الأخبار أو الأحداث أو عن طريق نشر المقالات عبر الفضاء الإلكتروني أو ما يتعلق بالتطور في تقنية استطلاعات الرأي العام عبر الاستثمارات الإلكترونية أو الإستطلاع

عبر المواقع، وعبرت تلك الأدوات عن ثورة في الأداء الديموقراطي ما بين الحاكم والمحكوم أو ما بين الرأي العام المحلي والأخر الدولي أو حتى ما بين المُختلفين عرقياً او دينياً أو ثقافياً بشكل يعكس ثورة معلومات مُتدفقة مقابل رأى عام سريع التلقي والتأثير وبروز العديد من القضايا التي تُشكل أجندة الرأي العام وفي نفس الوقت بروز العديد من الفاعلين في التأثير وذلك مع اتساع القاعدة الجماهيرية التي تُشكل المُستقبل للرسالة الإعلامية.

وطرح كل ذلك تساؤلات تتعلق بمدى تأثير الفضاء الإلكتروني على تشكيل الرأي العام ؟ وإلى أي مدى أصبح له دور في زيادة المُساهمين في تشكيل قضايا الرأي العام، وفي أولويات المجتمع ؟ وعلى درجة الإستجابة للأحداث المحلية والدولية وعلاقة ذلك بالإستقرار داخل المجتمع الدولي ؟ وما هو دور الفضاء الإلكتروني في بث الكراهية الدينية والشائعات مقابل دورة في بث التسامح والسلام ؟ وما هو أثر الفضاء الإلكتروني في توفير أدوات جديدة لقياس الرأي العام وما هي فاعليتها مع تدفق المعلومات السريع والمتواصل ووجود العديد من المؤثرين به ؟ وما هي مُحددات وفرص تأثير الفضاء الإلكتروني على الرأي العام وتغيير الإتجاهات والقيم ؟ وكيف يُمكن توظيف الفضاء الإلكتروني كوسيلة وسيطة لنقل مطالب الجماهير ومن ثم تحقيق الشرعية والاستقرار ؟

مجتمع المعلومات وظاهرة الفضاء الإلكتروني:

تعرض العالم المُعاصر إلى عدد من المُتغيرات التي كان من أهمها تنامي ظاهرة العولمة التي تقوم على الإرتباط الشديد بين دول العالم وكان لتلك الظاهرة أدواتها التكنولوجية وكان منها التطور الهائل في وسائل الإتصال والإعلام، وأدت هذه الثورة إلى تحويل العالم بطابعه المادي إلى عالم رقمي وافتراضي، حيث انتقلت كافة مجالات الحياة لتأخذ طابعاً رقمياً يدور في فلك الفضاء الإلكتروني، وظهر مجتمع المعرفة المبني على ثورة المعلومات والمعرفة، وشهد العالم اتجاه لإنتشار الموجة الديمقراطية والتوجه نحو اقتصاد السوق، كما انعكس ذلك على القيم والمعتقدات والأفكار.

أصبحت بنية النظام الإلكتروني تعني المكان الذي لا يُعد جزءً من العالم المادي أو الطبيعي حيث أنها ذو طبيعة افتراضية رقمية الكترونية تتحرك في بيئة الكترونية حيوية تعمل من خلال

خطوط الهاتف وكابلات الاتصالات والألياف البصرية والموجات الكهرومغناطيسية. ووصف "وليام جيبسون" العالم الإلكتروني بأنه "عبارة عن شبكات الكمبيوتر والاتصالات الإلكترونية وهو عبارة عن شبكة كمبيوتر خيالية تحتوي على كم هائل من المعلومات التي يُمكن الحصول عليها لتحقيق الثروة والسلطة، وتقترب العلاقة بين العالم المادي والعالم الواقعي بحيث يحصُل مستخدموا الكمبيوتر على خبرات لا وجود لها يكتسبونها عن طريق هذا الاستخدام فتؤثر بذلك المكونات الإلكترونية على العالم المادي والذي يُمكن أن نسمعه ونراه ونحسه ونتأثر به ونقرؤه، وأصبحت قوة الكمبيوتر والشبكات تتزايد عاماً بعد عام لتجعل من السهولة إدراك وجود هذا المكون الالكتروني، وهذا ما جعل الناس يرون في الفضاء الإلكتروني على انه عالم موازي للواقع الذي نعيش فيه.

المجال العام والتحول من المجتمع الواقعي إلى الإلكتروني:

يُعرف المفكر هابرماس Habermas المجال العام بأنه "مجتمع إفتراضى أو خيالى ليس من الضرورى أن يتواجد فى مكان معروف أو مُميز ويتكون من مجموعة من الأفراد الذين لهم سمات مُشتركة مجتمعين مع بعضهم كجمهور، يتفاعلون مع بعضهم على قدم من المساواة حول قضايا مشتركة"، ويعتمد المجال العام على حرية الدخول والتحول إلى الطابع العالمي كلما أمكن، ولا توجد بالضرورة معرفة بين المشاركين في المجال العام ببعضهم البعض، ولكن لديهم ادراك وفهم للقضية، ويُمكن لأي شخص أن يُشارك بآرائة أو مُساهماته، بعد أن ساعدت وسائل الإعلام الجديد في الخروج من النطاق الخاص إلى المجال العام الأوسع والأكثر استقطاباً للعديد من الأفراد، ومع هذا الإنتقال يتم التحول من قضايا فردية إلى أُخرى ذات طبيعه عامه وكذلك يتم الإنتقال من ردود الأفعال المادية التي تتم من خلال المظاهرات في الشارع أو الاعتصامات أو حتى أعمال الشغب إلى فضاء جديد لدية وسائل جديدة وآليات مُتنوعه يتم استخدامها للتعبير والإحتجاج تجاه المجتمع أو الدولة، وبذلك اتسع المجال السياسي ومجال النخبة ليضُم فاعلين آخرين لديهم القدرة على التأثير في الرأي العام بإستخدام تلك الوسائل الجديدة.

وخاصة مع تضييق فجوة المعرفة بشكل عام بإنتاج المعلومات وانتشارها وحرية الوصول إليها وقدرة أي فرد على انتاجها، وإيجاد حالة من أزلة اللبس والغموض المعرفي سواء ما يتعلق بالقضايا

الداخلية أو الخارجية وذلك من خلال نموذج يتكون من ثلاثة إضلاع هي: جمع المعلومات، التعليق عليها والتحاور حولها، ثم إتخاذ خطوات فعلية.

وتقوم نظرية "المجال العام" على وصف وشرح عملية تشكيل الرأي العام والمؤشرات الاجتماعية والثقافية التي تساعد على تطوير الرأي العام، ويتوسط المجال مجالات السلطة العامة والحكومة والمجال الخاص الذي قد يُركز على الشئون الخاصة بالأسرة والأفراد. وقد نشأ المجال العام في المجتمعات البورجوازية الأوروبية في القرن الثامن عشر، وكانت تُمارس من خلاله المناقشات حول السياسات الحكومية، وفي إطاره تبلورت اتجاهات الرأي العام.

ويُعد المجال العام مصدراً لتكوين الرأي العام وهو يتطلب شرعية السلطة لتفعيل أية ديمقراطية، فهو يُبرز الآراء والإتجاهات من خلال السلوكيات والحوار، وتقوم نظرية المجال العام في بنيتها الجديدة على محاولة فهم حدود الدور الذي تؤديه وسائل الإعلام الجديدة في إتاحة النقاش العام وتسهيل بلورة توافقات تُعبر عن الرأي العام النشط، وبحيث تكون إطاراً نظرياً مُتكاملاً يُمكنه توضيح حدود الدور الذي تقوم به وسائل الإعلام الجديدة مُمثلة في المدونات والمنتديات ومجموعات النقاش في إدارة وتوجيه النقاش السياسي والاجتماعي في المجتمع من أجل تعزيز المُشاركة العامة وترشيد مُدخلات صناعة القرار وصولاً إلى دعم كفاءة الفعل الديمقراطي في المجتمعات عبر بلورة رأي عام يحظى بأولويات تحظى بإتفاق جماهيري وتمنح الشرعية للعمليات السياسية المُختلفة

ويعتمد نجاح المجال العام وفقاً لما حدده Habermas على عوامل عدة: منها مدى الوصول والإنتشار.ودرجة الحكم الذاتي حيث يجب أن يكون المواطنون أحراراً ويتخلصون من السيطرة والهيمنة والإجبار.ورفض الهيراركية؛ فكل فرد يُشارك الآخرين على قدم المساواة.وأن يكون دور القانون واضحاً وفعالاً، والفهم والثقة والوضوح في المضمون الإعلامي.ووجود سياق مُجتمعي ملائم.